obeikan.com

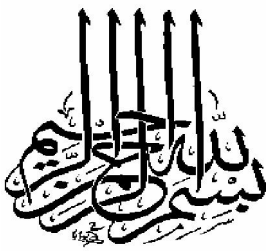

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

سورة طه:١١٤

صدق الله العظيم

obeikan.com

obeikan.com

الإهـــداء

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعته..
ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك .. ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك

الله جل جلاله

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة .. ونصح الأمة..
إلى نبي الرحمة ونور العالمين..

سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

إلى أبي الغالي رمز المسئولية صاحب القلب الكبير .. إلى من تعب لأجل سعادتي
أرجو من الله أن يمد في عمرك ويلبسك ثوب الصحة والعافية

والدي العزيز

إلى من ركع العطاء أمام قدميها وأعطتنا من دمها وروحها .. إلى الغالية التي
لا نرى الأمل إلا من عينيها.. إلى ملاكي في الحياة ..
إلى من أرضعتني الحب والحنان

أمي الغالية

obeikan.com

إلى شريكة حياتي ورفيقة عمري إلى من تحملت العناء والصبر؛
لأجل راحتي ونجاحي في الحياة،،،

زوجتي الحبيبة

إلى كواكب دربي .. إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله ....
إلى من يفرحوا لفرحي، ويسرهم نجاحي،،

إخوتي

obeikan.com

شكر وتقدير

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ خلقِ اللهِ محمدٍ بنِ عبدِ الله، وعلى آلِ بيته الطاهرينَ وصحابتهِ الراشدينَ،،،

بعد أن انتهيتُ من كتابةِ الأطروحة وبشعورٍ غامر بالتقديرِ والوفاءِ، أمتثلُ لقولهِ صلى الله عليه وسلم: **"من لا يشكر الناسَ لا يشكر اللهَ"**.

إنني أقف أمام كوكبة من علماء التاريخ؛ ولا أقول أني سطرت ما قرأته؛ بل ما تعلمته، ويزيدني شرفا أن تستقي مهجتي من ينابيع علمكم وأنوار بحوركم، وحبر دمائكم. أنني لأطأ الثريَّا اعتزازا أن أقف أمام علماء قلما شرف المقام لآخرين فكنت أكثرهم حظا، وأشرفهم مقاما، وأوفرهم نصيبا بمقامكم، وبحضور هذا الجمع الغفير الذي يحوي في حضنه علماء أجلاء، شرف بهم التاريخ .

لهذا فاني أذن واعية، و قلب واع، اسمع فأستبصر وعياً من نظم ثغوركم، ورحم الله علماء بينوا عيوبي فأتقدمُ بشكريِ الخالص العميقِ مَقروناً بجزيلِ العرفانِ والامتنانِ إلى كل مَن تفضلَ وأَثرَى جوانبَ هذا البحثَ سواء برأيٍ أو توجيهٍ أو نصيحةٍ أو ساهمَ في هذا العملِ العلمي ولو بجزءٍ يسيرٍ، وفي مُقدمةِ هؤلاءِ الأستاذان الجليلان **سيادةُ الأستاذ الدكتور/ رضوان احمد الليث** أستاذُ التاريخِ والحضارةِ الإسلامية بكليةِ الآداب ـ جامعةِ صنعاء، صاحبُ القلبِ الكبيرِ والنموذجُ المشرفُ لرجالِ العلمِ والفكرِ في الخُلقِ والتعاملِ والكرمِ على ما تفضلَ بهِ سيادتُه عليَّ من الإشرافِ والتوجيهِ والتعليم، فقد منحني كثيراً من وقته خلالَ فترةِ إشرافهِ على هذه الرسالةِ، وأفاضَ عليَّ بعلمِه الغزيرِ وأفسحَ لي

صدَره فذلَل العسيرَ وسهلَ الصعبَ، فهو لم يكن أستاذاً مشرفاً فحسبُ، بل كاَن وما يزال وسيبقى أباً حنوناً وعطوفاً يأخذُ بيدِ تلميذِه إلى الصوابِ فقد عرفتُه عالمًا متواضعًا، واسعَ الصدرِ، أنارَ بصيرتي بعِلمه، وأبعدني عن مواطنِ الزللِ، فكنتُ أخجلُ من كثرةِ الأسئلةِ والاستفسارِ، ولكنه لم يبخل علي بتقديمِ المشورةِ والمعونةِ، فأخذَ بيدي، فبسطَ الصعبَ وسهلَ العسيرَ، فهو رضوان الخيرِ لكل باحثٍ ودارسٍ، جزاهُ اللهُ عني خيرَ الجزاءِ .

والشكرُ موصولٌ إلى **الدكتورِ/أحمد الملصي** مدرسِ التاريخِ الإسلامي، والذي شَرفتُ بقبُولِهِ الاشتراكَ في الإشرافِ على هذا الجهدِ المتواضعِ، وإني أشكرُ أفضاَله على كل ما قدمه لي من نصائحَ وتوجيهاتٍ حتى تم إنجازُ هذا العملِ.

كما أتقدمُ بجزيلِ الشكرِ والتقديرِ إلى الأستاذينِ الجليلينِ **سعادةِ الأستاذِ الدكتورِ/ عبد الرحمن العاني** أستاذِ التاريخِ الإسلامي بكلية الآداب جامعةِ صنعاء، **وسعادةِ الأستاذِ الدكتورِ/ عبد الرحمن المختار** أستاذِ التاريخِ الإسلامي بكلية الآداب بجامعةِ عمران على تفضِلهما بقبولِ التكليف الحُكمِ على هذه الرسالةِ، ولا يسعني سوى أن أشيدَ بفضلِهما في سبيلِ تقدمِ الدراساتِ التاريخيةِ في مجالِ التاريخِ الإسلامي وحضارتِه، ولما اقتطعوه من وقتٍ ثمينٍ في قراءةِ هذه الأطروحة، ليس بحثاً عن أخطائِها ومثالِبها فحسب، ولكن لصقِلها وتزينِها بدُررِ أفكارِهم وآرائِهم السديدة، وأسألُ اللهَ أن يوفَقنِي في متابعةِ كل ما يقدمون لي من آراءٍ وملاحظاتٍ علميةٍ قيمة سوفَ يكونُ لها أكبرُ الأثرِ في إثراء المادة العلمية المتعلقة بموضوع البحث .

ويطيبُ لي أن أتقدمَ بخالصِ شكرِي وتقديرِي وعظيمِ امتناني إلى جميعِ أساتذتِي بقسمِ التاريخِ بكليةِ الآدابِ جامعة صنعاء لما أحاطونِي بهِ من الرعايةِ والاهتمام .

والشكرُ موصولٌ إلى الأُخوةِ والزملاءِ المعيدينِ والباحثينِ بقسمِ التاريخ على ما قدموه لي مِن عون أو مشورةٍ تخدمُ هذه الدراسة وعلى رأسهم الدكتورة سناء محمد الترب، والدكتورة لمياء أنور يعقوب، والأستاذة منى الدالي، والأستاذة قمرية عبد الله ضروة، والأستاذة أسماء أبو طالب، والأستاذة أسماء الطبيب، الأستاذة أية فياض، وكرياتي عصماء ونعيم.

كما أتقدمُ بخالصِ شكريٍ وتقديرِي للأستاذ/ عبده القدسي وجميعِ العاملينَ بمكتبةِ كليةِ الآدابِ جامعة صنعاء على حُسنِ تعاونهم معي في الحصولِ على العديدِ من المصادرِ والمراجعِ الهامة المتعلقةِ بالدراسة.

وأخيراً فإن هذه الرسالة ماهي إلا عمل متواضع ونقطة بسيطة في محيط العلم لا يعلم أغواره إلا الله فهذا ما وفقني اللهُ تعالى إليه ولا أدعي الكمالَ فإن الكمالَ لله وحده فإن كانَ عمِلي هذا صواباً فمنَ اللهِ ومن مَحضِ فضله عليَّ ، وفضلِ أساتذِتي المشرفينَ على إخراجِه، وإن كانتْ الأُخرى فمنِّى ومن الشيطان أعوذ بالله منه.وأسأل الله أن يتقبل مني هذا العملَ ويجعلَه خالصاً لوجهِهِ الكريم إنه سميعٌ قريبٌ مجيبُ الدعاءِ.

والله ولي الهداية والتوفيق

obeikan.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آل بيته الطاهرين وصحابته الراشدين.

وبعد؛؛

فإن المغرب الإسلامي يمتاز باتساع مساحته، وغنى أقاليمه الأمر، الذي جعل المغرب محط اهتمام الدول منذ أمد بعيد حتى اليوم، وسكان المغرب هم البربر، وهم أهل البلاد الأصليين، وقد امتزجوا بأقوام وفدت عليهم من الشمال مثل الروم البيزنطيين، ومن الجنوب الأفارقة والسودان، والمسلمين العرب القادمين من الجزيرة العربية وبلاد الشام، وقد كان للبربر دور سياسي في تاريخ المغرب الإسلامي وحضارته، سواء كان بعضهم مؤيداً للفتح الإسلامي أم معارضاً له عبر مراحل التاريخ الإسلامي في بلاد المغرب، هذا فضلًا عن دورهم في المجالين الاقتصادي والاجتماعي.

وقد نتشر الإسلام بين البربر بعد الفتح، فلم يمض قرن من الزمان حتى كان الإسلام دين الغالبية من السكان، ولم يقتصر دور القبائل البربرية على المساهمة في نشر الإسلام في المغرب بل امتد دورهم إلى فتح الأندلس؛ حيث دخل طارق بن زياد مع سبعة آلاف من البربر إلى جانب الفاتحين من العرب القادمين من الجزيرة العربية وبلاد الشام.

لم ينتهِ دور البربر في الأندلس بانتهاء الفتوحات، وإنما شكل بربر المغرب جبهة إمداد مستمرة للأندلس على مر تاريخها؛ حيث جندَ أمراء الأندلس وقادتها الكثير منهم مثل الحكم الربضي، والمنصور ابن أبي عامر، وابنه المظفر

عبد الملك؛ كما استعان ملوك الطوائف بالمرابطين من المغرب في حربهم ضد النصارى.

وعلى الرغم من التشابه الكبير بين القبائل البربرية في المغرب والقبائل العربية في اليمن؛ فقد كان لقبائل البربر طابعها الخاص، وعاداتها وتقاليدها، التي حافظ البربر عليها بعد الإسلام لعدم تنافيها مع روح الإسلام؛ مثل الغيرة، والشجاعة، واحترام المرأة.

وقد تم اختيار موضوع الدراسة (دور البربر في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الإسلامي منذ الفتح حتى قيام دولة بني زيري الصنهاجية "٢٢- ٣٦٢هـ/٦٤٣- ٩٧٣م").

أسباب اختيار الموضوع:

لأسباب؛ أهمها أنه لم يسبق تناول دراسة الموضوع بشكلٍ خاص- على حد علمي- إذ وجدت إن دور البربر لم يلق اهتماماً كبيراً من قبل الباحثين فقد ركزوا دراساتهم على سكان المغرب ومن ضمنهم عنصر البربر وتوزيعهم فكل ما كتب عنهم يُعد شيئًا يسيراً لا يتناسب مع دورهم المهم الذي لعبه البربر المغرب الإسلامي سواء كان في المجال السياسي أو الحضاري، كذلك قلة الدراسات العلمية في موضوع تاريخ البربر خاصة في الجانب الاقتصادي والاجتماعي، بالإضافة إلى توفر المادة العلمية في المصادر التاريخية، كذلك رغبتي وميولي الخاصة في دراسة تاريخ البربر في المغرب.

أهمية الدراسة:

ترجع أهمية الدراسة: إلى إبراز دور البربر في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب. وإلقاء الضوء على كثير من جوانب حياة البربر، وعلى الرغم من أهمية الدراسة من الناحية التاريخية بشكلٍ عام؛ فإنها مهمة أكثر في الجانب الاجتماعي والاقتصادي؛ الذي لم ينل حظاً وافراً من الدراسات والأبحاث مثل التاريخ السياسي؛ كما أن الدراسة سترفد المكتبة العربية بدراسة جديدة في هذا الموضوع.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى جمع الكثير من المعلومات عن البربر والكثير من تفاصيل حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وإلى إبراز أوجه الشبه بين القبائل البربرية والعربية، إلى غير ذلك من المعلومات التي تفيد القارئ لأخذ العظة والعبرة، وهي الغاية من قراءة التاريخ.

منهج الدراسة:

والمنهج في الدراسة هو المنهج التاريخي الوصفي القائم على جمع المعلومات بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من خلال استقراء النصوص التاريخية، وكذلك تحليلها مع الترجيح والتعليل، وكذا ترتيب الأحداث والتراجم حسب التسلسل الزمني.

الدراسات السابقة:

أما الدراسات السابقة؛ فقد كان معظمها مقالات صغيرة اكتفت بملامسة الموضوع ضمن الإطار العام دون التعمق فيه، أو دراسات تضمنت ذكر البربر ضمن مواضيع تاريخية أخرى مثل:

- موسى أحمد بني خالد " درو القبائل البربرية في العلاقات السياسية الفاطمية والأموية في الأندلس "(٢٩٧-٤٢٢هـ/ ٩١٠-١٠٣١م) ط[١]، ٢٠٠٤م، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، الأردن.

خطة البحث: وقد قسمت هذه الأطروحة إلى مقدمة تمهيد وأربعة فصول وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع:

أما التمهيد: فقد تم فيه تناول "الوضع السياسي للمغرب قبيل الفتح الإسلامي" وفيه عرض مختصر للوضع السياسي الاقتصادي والديني لبلاد المغرب قبيل الفتح.

وأما الفصل الأول: وهو عن" أصل البربر، ومناطق انتشارهم في بلاد المغرب" وقد تم فيه التعريف ببلاد المغرب وجغرافيتها. ونسب البربر، وتقسيم قبائله إلى برانس وبتر.

أما الفصل الثاني: تحت عنوان " دور البربر في الحياة السياسية": وقد تناولت فيه دور البربر في الفتح؛ وكذلك دورهم السياسي في عصر الولاة؛ ليس هذا فحسب؛ بل دورهم السياسي في عصر الدويلات المستقلة المتمثلة في دولة الأغالبة، والدولة المدرارية، والدولة الرستمية، ودولة الأدارسة، وأخيراً دورهم السياسي في عهد الدولة الفاطمية.

الفصل الثالث: فقد جاء بعنوان" دور البربر في الحياة الاقتصادية ": وفيه تم التركيز على الجانب الزراعي وأهم المحاصيل الزراعية للبربر، وذلك بذكر محاصيل كل منطقة على حده، وكذلك الثروة الحيوانية، ثم دورهم في مجال الصناعة وأهم الصناعات والحرف التي اشتهر بها البربر، ثم دور البربر في مجال التجارة سواءً داخلية أم خارجية، كذلك أهم الطرق التجارية التي استخدمها البربر لتنقلاتهم، والأسواق وتنظيمها والرقابة عليها.

أما الفصل الرابع: فقد جاء بعنوان" دور البربر في الحياة الاجتماعية" وتناولت فيه وضع البربر الاجتماعي في بلاد المغرب، وصفاتهم الجسمانية، وتقاليدهم في الزواج، والمناسبات، والأعياد، وكذلك وضع المرأة في مجتمع البربر ومكانتها؛ وملابس البربر، وطعامهم، وأشهر مأكولاتهم، وأدواتهم، ووسائل الترفيه في المجتمع.

وأما الخاتمة: فهي عبارة عن خلاصة لأهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال الدراسة.

ثم ذيلت البحث بقائمة للمصادر والمراجع والرسائل والدوريات التي أُستعنت بها في الدراسة، ثم ذكرت فهرس لمحتويات البحث.

الصعوبات التي واجهتني في العمل:

- اتساع مساحة المغرب الإسلامي، وكثرة وتشتت القبائل البربرية، وكان لابد من رصد تلك القبائل، وجمع أكبر قدر من المعلومات عنها لبناء هيكل الدراسة، واستنتاج أدوار تلك القبائل في الحياة السياسية الاقتصادية والاجتماعية.

●عدم وجود تراجم دقيقة وشجرات نسب للكثير من القبائل البربرية، وتشابه أسماء الرجال والقبائل؛ الأمر الذي استوجب التدقيق والمطابقة بين المصادر؛ للتأكد من مدى صحة المعلومات.

وأخيراً أرجوا من الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وُفقت في عملي هذا وأرجو أن أكون قد أوفيت الموضوع حقه، والكمال لله وحده، وهذا ما وفقني الله إليه.

obeikan.com

التمهيد
الوضع السياسي والحضاري في المغرب قبيل الفتح الإسلامي

أولاً: الوضع السياسي قبيل الفتح الإسلامي:

تعرضت بلاد المغرب إلى غزو خارجي خلال تسلسل تاريخها الطويل من شعوب كثيرة مثل: الفينيقيين والرومان والوندال والبيزنطيين؛ الذين حاولوا - على التوالي بسط سيطرتهم على تلك البلاد؛ وخاصة المناطق الساحلية وبعض المناطق في الداخل، واستطاع كلٌّ من الفينيقيين والرومان أن يتأقلموا إلى حد ما مع سكان المناطق الساحلية، وأما بقية المناطق الداخلية من البلاد؛ فقد ظلت تحت سيطرة البربر(١)، وفي نهاية الأمر تم إخضاعها من قبل البيزنطيين قبيل الفتح الإسلامي، وكان الإمبراطور البيزنطي يعين حاكمًا عامًا على بلاد المغرب، ويقيم في مدينة قرطاجنة(٢) وله سلطات واسعة في إدارة البلاد، وكان يعين إلى جانبه

(١) طه، عبد الواحد ذنون: الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، ص٤٠، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م (د. ط).

(٢) **قرطاجنة:** بالفتح ثم السكون، وطاء مهملة، وجيم ونون مشددة، وقيل إن اسم هذه المدينة قرطاء، وأضيف عليها جنة لطبيعتها وحسنها، وكانت تعتبر من أوائل البيوت المعظمة عند الرومان، وهي مدينة عظيمة شامخة البناء أسوارها من الرخام الأبيض، وبها أعمدة الرخام المتنوع الألوان، وتقع على ساحل البحر حيث عُمرت مدينة تونس من خرائب قرطاجنة وحجارتها، وجلب إليها الماء من نواحي القيروان، التي تبعد عنها بمسيرة ثلاثة أيام، وقد ولَّى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان حسان بن النعمان إفريقية، فنزل بها وقال ما مثل قرطاجنة فإنها دار ملك، وقاتل أهلها حتى طلبوا منه الأمان. (ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص٣٢٣، دار صادر، بيروت، ط(٤)، ١٩٩٥م.

عددًا كبيرًا من المستشارين والموظفين الذين يقومون بتسيير أعماله وتحصيل الضرائب.

لقد كانت بلاد المغرب من أهم مراكز البيزنطيين؛ لذلك عملوا على تقوية دفاعاتهم في إفريقية؛ تحسبًا لأيّ ثورات محتملة ضدهم من قبل البربر، كذلك انتهجوا منهج القوة والاستبداد في معاملتهم لأهل هذه البلاد، الأمر الذي نتج عنه مشاعر العداء والكراهية تجاههم(١).

كما فرض البيزنطيون على البربر ضرائب عالية لتغطية نفقات جيوشهم، إضافة إلى أموال أخرى تدفع للكنيسة؛ مما أرغم البربر على تشكيل مجموعات مستقلة عن الحاكم البيزنطي في مدينة قرطاجنة، وقيامهم بحركات تمرد خاصة في طرابلس(٢)، وجنوب تونس(٣)،

الحميري: أبو عبد الله محمد عبد المنعم (ت٨٦٦هـ/١٤٦١م): الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤٦٢، تحقيق/ إحسان عباس، ط(٢)،١٩٨٠م، مؤسسة ناصر للثقافة).

(١) شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية " تونس .الجزائر .المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة ١٨٣٠م، ج١، ص٣٧٧، تعريب/ محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية، ١٩٧٨م، (د. ط). شكري يوسف حسين أحمد: محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، ص١٢، جامعة الأزهر، القاهرة، ٢٠٠٢م،(د. ط).

(٢) **طرابلس:** فتحها عمرو بن العاص سنة ٢٣هـ بعد أن حاصرها لمدة شهرين حتى استسلم الروم، وتبعد طرابلس عن جبال نفوسة مسيرة ثلاثة أيام.(ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٥. الحميري: الروض المعطار، ص٣٨٩).

(٣) **تونس:** مدينة بإفريقية محدثة إسلامية، وبينها وبين البحر مسافة أربعة أميال، كثيرة الجنات والمياه والزروع الطيبة والفاكهة، ولها سور يدور بها أربع وعشرون ألف ذراع، وجامعها مليح الصنعة حسن الوضع مطل على البحر بناه عبيد الله بن الحبحاب.(الحميري: الروض

وجبال الأوراس[١]، وكان النصر حليفًا لهم في انتزاع الكثير من الحصون[٢].

لذلك انحصرت الإدارة البيزنطية في المناطق الساحلية؛ وذلك نظرًا لكثرة الاضطرابات التي قام بها البربر، وتحول الساحل إلى منطقة عسكرية يحكمها قائد حربي يلقب بالبطريق جرجيريوس[٣] " جرجير". و بسبب بعد المغرب عن مركز الإمبراطورية البيزنطية، فضلاً عن موقعها الإستراتيجي، والاقتصادي في عهد البطريق جرجير أعلن استقلاله عن الإمبراطورية البيزنطية في سنة٢٦هـ/٦٤٦م، وانسحب من مدينة قرطاجنة التي كانت مركزًا للبيزنطيين، وتحصن في بلدة سبيطلة[٤] واتخذها عاصمة له، ولم يستقر كثيرًا في

المعطار، ص١٤٣ـ القزويني: زكريا بن محمد بن حمود(ت٤١٥هـ/١٠٢٤م): آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٧٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م).

(١) **جبل أوراس:** هو جبل قريب من باغاية بإفريقية بينه وبين نقاوس ثلاث مراحل، وهو المتصل بالسوس، ويقال إنه قطعة من جبل درن بالمغرب ومتصل به وطوله نحو اثني عشر يومًا، ومياهه كثيرة وعمارته متصلة وفي سكانها نخوة وتسلط على من جاورهم من الناس، وفي هذا الجبل كانت الملكة المعروفة بالكاهنة المقتولة في الفتح الأول على يدي المسلمين، ذكر أن حسان بن النعمان الغساني عندما ولاه عبد الملك بن مروان إفريقية سنة تسع وستين في جيش فيه نحو ستة آلألف فارس يقاتلون مع الكاهنة؛ حتى تم القضاء عليها.(الحميري: الروض المعطار، ص٦٥).

(٢) عبد الواحد ذنون: الفتح والاستقرار العربي، ص٦٣.

(٣) **جرجيريوس**: هو حاكم إفريقيا من قبل الإمبراطور هرقل، ثم قسطنطين الثاني من بعده. وقد انفصل جرجيريوس عن الدولة البيزنطية سنة(٢٧هـ/ ٦٤٧م)، ونقل عاصمته من قرطاجنة إلى سبيطلة في سنة (٢٨هـ/ ٦٤٨م)، وهو العام الذي غلبه فيه عبد الله بن سعد.(ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله(ت٢٥٧هـ/٨٧١م): فتوح إفريقيا والأندلس، ص٤٢، الجزائر، ١٩٤٧م، (د.ط).

(٤) **سبيطلة:** بالضم، ثم بالفتح، وياء مثناة من تحت، وطاء مكسورة ولام، تقع إلى الغرب من

مدينته الجديدة؛ بسبب مجيء طلائع الجيش العربي الإسلامي[١]، بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي السرح[٢]، والتقى بجرجير، وكان معه عبد الله بن الزبير[٣] سنة ٢٨هـ/٦٤٨م، وكان تعداد جيش البطريق يقارب مئة وعشرين ألف مقاتلاً، في حين أن جيش المسلمين عشرين ألفاً، لكن جرجير هُزم وقتل، وفتح إقليم برقة[٤]، وطرابلس، وسبيطلة، وغنم المسلمون غنائم كثيرة من الذهب

تونس حاليًا، وهي بلد زراعي.(البغدادي: صفي الدين عبد المؤمن(ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م): مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج٢، ص٦٩٢، تحقيق: علي البجاويّ، ط(١) ١٩٥٤م، دار إحياء الكتب العربية، عيس الحلبي).

(١) الحميري: الروض المعطار، ص٣٠٢. طه عبد المقصود: تاريخ المسلمين في المغرب والأندلس، ص٣٨. دار الهاني، القاهرة، ٢٠٠٨م(د. ط).

(٢) **عبد الله بن سعد بن أبي السرح**: هو عبد الله بن سعد بن أبي السرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة القرشي العامري أخو عثمان بن عفان من الرضاعة، فاتح إفريقية، توفي بعسقلان سنة ٦٦هـ.(ابن عساكر: علي أبي الحسن الشافعي(ت٥٧١هـ/١١٧٥م): تاريخ دمشق الكبير، ج٧، ص٤٣٥، تعليق: عبد القادر بدران، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط(٣) ١٩٨٧م. خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري(ت٢٤٠هـ/٨٥٤م): كتاب الطبقات، ص٢٩١. ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ص١١٢-١١٣، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط(١) ١٩٧٥م. النووي: أبو زكريا محيي الدين بن شرف(ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م): تهذيب الأسماء واللغات، ج١، ص٩١٨، المطبعة المنيرية، القاهرة، ١٢٣٨هـ،(د. ط).

(٣) **عبد الله بن الزبير بن العوام**: هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي، ويكنى أبا بكر، وهو أول مولود في الإسلام، قتل ابن الزبير في سنة ٧٣هـ.(ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم(ت٦٣٠هـ/ ١٣٣٢م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، م٣، ص٢٤٢- ٢٤٤، تحقيق: محمد إبراهيم البناء وآخرين، مكتبة الشعب، مصر،(د. ط)(د. ت). الزركلي، خير الدين: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج٤، ص٢١٨، دار العلم للملايين، بيروت، ط(٣)، ١٩٧٩م.

(٤) **برقة:** بفتح أوله والقاف وهو اسم موضع كبير يضم الكثير من القرى، وفيها آبار. وبين

والفضة[١]، وعُرفت بمعركة سبيطلة التي تلقى البيزنطيون فيها هزيمة شديدة، وبعد هذه المعركة تخلى البربر عن محالفتهم للبيزنطيين، ودخل عددٌ كبيرٌ منهم في الإسلام[٢]، وكان منهم قبيلتا هوارة[٣]،

الإسكندرية وبرقة مسيرة شهر، ويحيط بها البربر من كل جانب، وافتتحها عمرو بن العاص صلحاً.(البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى(ت٢٧٩هـ/٨٩٢م): فتوح البلدان، ص٢٢٣. تحقيق/ لجنة التراث، منشورات الهلال، بيروت، ١٩٨٨م، (د. ط). ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن الشيباني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج٣، ص١٥٠-٩٢. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٨٨).

(١) ابن حبيش: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (٥٨٤هـ/١١٨٨م): غزوات ابن حبيش، مج١، ص٣٦٧- ٣٧٠، ط(١)، ١٩٩٢م، دار الفكر، بيروت. ابن عذارى(ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م): كتاب " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج١، ص٩، ١٢، تحقيق/ ج. س. كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط(٣)، ١٩٨٣م. ابن الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن محمد الأنصاري (ت٦٩٦هـ/١٢٩٦م): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان،ج١، ص١٣٧، أكمله/ أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى التنوخي، تصحيح وتعليق/ إبراهيم شبوح، مكتبة الخانجي، مصر، ط(٢)، ١٩٦٨م. الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد(ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج١، ص٣٦، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م، (د. ط).

(٢) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٦، ص٢١٥، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط(١) ١٩٦٨م. كحيلة، عبادة بن عبد الرحمن رضا: المُغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، ص٢١،(د. م)، ط(٢)٢٠٠٠م.

(٣) **قبيلة هوارة:** من قبائل البربر البرانس وهم من ولد هوار بن وأريغ بن برنس، والبعض يقول إنهم ولد المسود بن الكاسك بن حمير، وقالوا بعض المؤرخين سميت هوارة لان المسور جال البلاد ووقع في المغرب قال:" لقد تهورنا". ومواطنهم نواحي طرابلس، وأهم بطون هوارة بنو نبه، وأريغ، وبنو كهلان، وعند نسابة البربر من بطونهم غريان، وورغة، وزكاوة، ومسلاتة، ومجريس، ومليلة، وبرقة. (ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٨٢ـ٢٨٦. مجهول(

ولواتة[١]، اللتان كان لهما فيما بعد دوٌر كبيرٌ في الفتوحات الإسلامية؛ إلا أن المسلمين الفاتحين واجهوا قبيلة بربرية قوية هي قبيلة نفوسة[٢] التي تمركزت في جبل نفوسة، باتجاه الجنوب من طرابلس[٣]. والأرجح في ذلك أن قبائل نفوسة معظمها كانت على الديانة المسيحية وتتمسك بالولاء للدولة البيزنطية[٤].

كتبه في ٧١٢هـ/١٣١٢م): مفاخر البربر، ص٩٨، تحقيق/ عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرباط، ط(١) ٢٠٠٥م. الجربي، محمد أبو رأس(ت١٢٢٢هـ): مؤنس الأحبة في أخبار جربه، ص٣٢، تونس، ١٩٥٨م).

(١) **قبيلة لواتة:** بطن من بطون البربر البتر، وينتسبون إلى لواء الأكبر بن زحيك، وبعض نسابة البربر يزعمون أن سدراته ولواته ومزاته من القبط، وكان جزء منهم يسكن بجبال أوراس.(ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٣٥. البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٢١٠).

(٢) **قبيلة نفوسة:** بالفتح، ثم بالضم والسكون، وسين مهملة، وهم من بطن واحد تنُسب إليه قبائل نفوسة، وكانوا من أوسع قبائل البربر؛ مثل: بني زمور وبني مكسور، وسموا بهذا الاسم نسبة إلى جبل نفوسة في المغرب، وطول هذا الجبل مسيرة ستة أيام من الشرق إلى الغرب. وبين جبل نفوسة وطرابلس ثلاثة أيام، وبينه وبين القيروان ستة أيام، ومعظم قبائله اعتنقت المذهب الإباضي وبها قبيلة يقال لها بنو رموز، ولهم حصن يسمى تيرفت في غاية المنعة لا يقدر عليه، وفيه نحو ثلاثمائة قرية، وفيه نخل كثير والزيتون والفاكهة.(البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٣٨٢. الحميري: الروض المعطار، ص٥٧٨.(ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٣٠).

(٣) الحميري: الروض المعطار، ص٥٧٨. الجربي: مؤنس الأحبة في أخبار جربة، ص٣٢. محمود شيت خطاب: قادة فتح المغرب العربي، ج١، ص١٧٠، ط(٣)،١٩٨٧م، دار الفكر(د. م). مؤنس، حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٧- ٢٨، دار المستقبل، القاهرة، ط(١)،١٩٨٠م.

(٤) البكري: المغرب ص ٣٢، ١٩٠. ابن عذارى : البيان المغرب ، ج١، ص٣٦.٣٨ .

ثانيًا: الجانب الحضاري قبيل الفتح الإسلامي:

كانت بلاد المغرب قبيل الفتح إقليما تابعًا للدولة البيزنطية، ومن أهم مراكزها العمرانية؛ لكثرة مواردها الزراعية والثروة الحيوانية، الأمر الذي جعلها محط أنظار الغزاة والطامعين في خيراتها. وكان بالمغرب مدن كثيرة، وأراضي زراعية، ومصادر للمياه العذبة، وقد اهتم البربر بطرق الري وتطويرها، وموانئ في المناطق الساحلية لنقل البضائع، وكان البربر يعملون في الزراعة، والرعي وتربية الماشية، ومناحل العسل ويمارسون صيد السمك في المناطق الساحلية. كذلك مارس البربر الصناعات المختلفة منها الاستخراجية مثل استخراج الملح والحديد والنحاس، ومنها صناعة الأدوات المعدنية والخشبية، وكذلك الصناعات الحرفية مثل الغزل والنسيج، وصناعة الخزف. كما اشتغل البربر بالتجارة لتوفر المواد الخام والمصنعة التي أنعشت التجارة الداخلية والخارجية(١).

أما بالنسبة للحياة الدينية في بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي، فقد تنوعت الديانات ما بين ذات الأصل السماوي ووثني فقد انتشرت الديانة المسيحية بينهم، وبين الجاليات الرومية في المناطق والمدن الساحلية التابعة للبيزنطيين(٢)؛ وقد دخل بعض من قبائل البربر البرانس في الدين المسيحي لأنهم خضعوا للحكم البيزنطي مثل قبيلة سبيطلة، وقبائل أوروبة(٣)، كما اعتنق البعض من البربر الديانة اليهودية التي دخلت بلاد المغرب عن طريق التجّار

(١) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٩.

(٢) العبادي، أحمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، ص١٩، دار النهضة العربية، بيروت،(د. ط)،(د. ت).

(٣) ابن خلدون: العبر،ج٦، ص٢١٣.

اليهود[١]، وكان لها أتباع بين بربر مندلاوقة، ومديونة، وبهلولة، وبنو بازاد من برابرة المغرب الأقصى[٢].

وكذلك انتشرت الديانة المجوسية في بعض قبائل البربر؛ إذ وجد بربر في المغرب الأقصى مجوس يعبدون النار مثل بني يرغش، وبربر صنهاجة أهل اللثام[٣]، ويذكر ابن خلدون[٤]: " أن وليلي[٥] عند زرهون وبلاد المصامدة وبلاد السوس كانوا على دين المجوسية ولم يدينوا بالنصرانية".

أما بقية القبائل الصحراوية؛ فقد مارسوا بعض العبادات الوثنية، وبعض الظواهر الطبيعية مثل: عبادة النار وعبادة الشمس[٦].

---

(١) ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص٢٨، ٣٤، تحقيق/ محمد شمام، تونس، ١٩٧٦م. حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقية، ص١٥٥-١٥٨، القاهرة، ١٩٦٤م، (د. ط). كمال السيد أبو مصطفى: محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته " المغرب. الأندلس، ص٣٢، مركز الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٧م.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٠٧. جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ص١٩، ترجمة/ محمد عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩١م، (د. ط).

(٣) الكتاني، أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الحسني(ت١٣٤٥هـ/١٩٢٧م): الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس، ص٣٨، طبعة فاس،١٨٩٦م. ابن خلدون: العبر،ج٦، ص٢١٥.

(٤) العبر: ج٦، ص١٨٦.

(٥) **وليلي:** مدينة بنهاية جبل زرهون، وهي من مدن المغرب وتقع ما بين نهر سبو ومدينة ورغة، ولها حصن عظيم كثيرة الغروس.(ابن أبي الزرع: علي بن محمد بن عمر(ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م): الأنيس المطرب وروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص١٩-٢١، صور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م).

(٦) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص١٨٥. مجهول: مفاخر البربر، ص١٩٦. محمد الخطيب: الحياة

وكذلك يذكر البكري[١] أن بعض قبائل البربر في وادي ودّان[٢] كان لهم صنمٌ من حجر مبني على ربوة مرتفعة، وكانوا يتبركون به، يقربون له قربانًا من أموالهم، وكان من البربر ما بين مدينتي أغمات[٣] والسوس[٤] من يعبدون كبشاً.

في حين كانت الكاهنة[٥] ملكة جبال أوراس مع جميع قومها من جراوة يعبدون صنما كبيراً من الخشب يُحمل معها أينما رحلت[٦].

السياسية في المغرب الإسلامي وآثارها في نشأة الدويلات، ص٢١، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط(١)١٩٨٩م.

(١) البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز(ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص١٢، ١٦١، مكتبة المثنى، بغداد،(د. ط)،(د. ت).

(٢) **وادي ودان:** يقع جنوب بلاد المغرب وفيه قلعة حصينة.(القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٢٨٠).

(٣) **أغمات:** مدينة بالمغرب تقع أسفل جبل كثيرة الأشجار والثمار، ويوجد بها نهر به جسر يجوز عليه الناس والدواب.(القرماني: أحمد بن يوسف الدمشقي(ت١٠١٩هـ/١٦١٠م): أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، م٣، ص٢١٣، تحقيق/ أحمد حطيط، فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، ط(١)١٩٩٢م).

(٤) **مدينة السوس:** بضم أوله وسكون ثانيه، وسين مهملة، وهي بلد في المغرب كانت الروم تسميها قمونية، من أهم مدنها طنجه.(ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٨٠ . ٢٨١).

(٥) **الكاهنة:** كانت تسمى دُهيا بنت ماتية بن تيفان بارو بن جراو، وكانت ملكة لجراوة في جبال أوراس ولقبها العرب بالكاهنة. (ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢١٨).

(٦) المالكي: أبو بكر عمر بن محمد بن يوسف(ت٣٥٠هـ/٩٦١م): رياض النفوس،ج١، ص٣٤، تحقيق/ حسين مؤنس، القاهرة،١٩٥١م.

وهكذا يلاحظ أن الديانات التي كانت منتشرة في بلاد المغرب متنوعة؛ لذلك لم يجد المسلمون الفاتحون صعوبة في اجتذاب البربر ودعوتهم إلى الدخول في الإسلام عن طريق الدعاة الذين علموهم أصول الدين والشريعة الإسلامية مما جعل البربر مترابطين، وأصبحوا فيما بعد من المجاهدين الذين شاركوا في نشر الإسلام في بلاد الأندلس.

أما بالنسبة للحياة الاجتماعية فقد تميز البربر بصفات خاصة، فكان لهم الكثير من العادات والتقاليد قبل الإسلام، وقد ظلت تمارس بعد الإسلام لعدم مخالفتها للشريعة الإسلامية، من ذلك الشجاعة، والكرم، والغيرة، وعرف عن البربر الجَلد والشدة في نسائهم، ورجالهم، وقدرتهم على تحمل ظروف الحياة الصعبة، وخاصة قبائل الصحراء(١).

وكان البربر نوعين: بربر بتر، وبربر برانس، واستقر مجتمع البربر البرانس في المدن والأرياف، في حين أن البربر البتر كانوا بدوا اعتمدوا على حياة التنقل؛ بحثًا عن الماء والمرعى(٢).

(١) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م): صورة الأرض، ص٨٣-٩٩٩١، ط(٢)١٩٣٨م، مطبعة ليدا. منى حسن أحمد محمود: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٦، ط(١) ٢٠٠٣م، دار الثقافة، القاهرة.

(٢) ابن خلدون: العبر:ج٦، ص١٧٧، ١٨٦. عبد الحميد زغلول: تاريخ المغرب، ج١، ص٨٣. حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، ص٣٣، دار الفكر، القاهرة، ط(٢)، ١٩٩٦م. عويس، عبد الحليم: دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ص١٧، ط(٢) ١٩٩١م، دار الصحوة للنشر، القاهرة. عبادة كحيلة: المُغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، ص٢٠.